

جهل كل طرف بالآخر ولد ونمى صورة سلبية عنه.. كاري كونز: الحوار هو ما يخلق عقول قادرة على مخاطبة الآخر



رؤى - مهدي سلمان:

في العام 2008م أصدرت الكاتبة ماري كونز كتابها (تجسير الهوة بين الأميركيين والعرب) التي عالجت فيه 11 تصور سلبي عن العرب والأمريكان في أذهان بعضهما البعض، الكتاب الذي فاز أخيراً بجائزتين أميركيتين لأفضل الكتب يعالج قضية مهمة هي تلك الصورة المتخيلة التي يرسمها الذهن عن الآخر في ظل غياب المعرفة الحقيقية الواعية، وفي ظل تسيد الجهل عن هذا الآخر. تلقي كونز في هذا الحوار الذي أجرته رؤى معها باللائمة على الجهل لكنها أيضاً ترى أن ثمة أمور أخرى ساهمت في تعزيز هذه الصورة السلبية، ونحن هنا نبحث معها دور الثقافة والإعلام في رسم الصورة المتخيلة، وكذلك دور السياسة والدين في ذلك: هل لك أن تحدثنا عن الكتاب بشكل عام، وما الذي يخلص إليه، وكيف خلص إلى هذه النتيجة؟

-حين أتيت إلى البحرين في العام 2005م لم أكن أعرف عن العرب شيئاً، ولم أكن أعرف عادات وتقاليدها المجتمعات العربية، وكان تصوري كما تصور الكثيرين من الأميركيين أنني سأجد البحرينيين (بدواً) يعيشون في الخيام، ويتنقلون بالجمال، لم أكن بالطبع قد التقيت عرباً ولم أكن قد ذهبت إلى بلد عربي لأرى الحقيقة، ولكنني وجدت في البحرين شعباً مواكباً للحضارة، يعيش كما يعيش أي مجتمع متمدن آخر في العالم، وهنا حدثت الصدمة بالنسبة لي التي حفزتني على البحث في هذا الموضوع وهو الصورة المتخيلة لدى شعب عن شعب آخر.

بدأت الفكرة تختمر في ذهني، وبدأت من الجانب الآخر، فبدأت أسأل عن التصور المرسوم للأمريكيين لدى العرب والبحرينيين، ووجدت أن الصورة السيئة التي كانت في ذهني عن العرب، هي أيضاً مرسومة عن الأميركيين في أذهان العرب، وبدأ مشروع الكتاب يتبلور في ذهني، وعندما غادرت إلى أمريكا بدأت أيضاً أسأل حول صورة العرب في أذهان الأميركيين، وخلال 16 زيارة للبحرين وعودة إلى الولايات المتحدة استطعت أن أخلص إلى 11 نقطة لدى كل جانب تمثل الصورة العامة (المشوهة) عن كل طرف لدى كل طرف، فكان العرب يعتقدون أن الأميركيين لا يحترمون المرأة عبر تعريتها وإباحتها من خلال مشاهداتهم للتلفزيون والسينما وغيرها، وأيضاً أنهم - أي الأميركيين - حطموا نسق العائلة والقيم الأخلاقية، إضافة لكونهم يعتبرون الحجاب أمراً رجعيّاً، كما أنهم لا يهتمون بغير المال والقيم المادية، وإن دفعوا للمنظمات الإنسانية والخيرية فإنهم يفعلون ذلك نتيجة شعورهم بتأنيب الضمير، كما أن العرب يعتقدون أن الحكومة الأمريكية هي التي تخلق مشاكل الشرق الأوسط من أجل السيطرة عليه، كما أنها ترجح مصلحة إسرائيل على مصالحها مع العرب، كما أن الإعلام الأمريكي معادي للعرب، ويرون أيضاً أن الأميركيين لا يعرفون شيئاً عن "البحرين" والعرب.

وكذلك فإن الأمريكان يعتقدون بأمر سلبي عن العرب من بينها أنهم يرون بأن الإسلام دين رجعي، وهو أيضاً دين عنف ودين موت، كما أن المرأة حين ترتدي الحجاب فإنها تكون مجبرة عليه، ويعتقد الأمريكان أن العرب والمسلمين يكرهونهم، كما أنهم يعتقدون أن النظام الحقوقي في الإسلام يميز الرجل على المرأة بشكل ظالم، وأن المرأة ليس لها أي حقوق في التعليم والعمل والقضاء. ويعتقد الأمريكان أيضاً أن العرب متمسكون بالماضي فقط، كما أن ثمة صورة يتخيلها الأمريكان حول شعوب الخليج بأنهم جميعهم أثرياء، كما أنهم يكرهون اليهود ويكرهون إسرائيل.

وبالتأكيد فإننا من خلال ذلك نخلص إلى أن هذه الصورة النمطية والسلبية التي يكونها كل طرف عن الآخر هي وليدة الجهل، فجهل كل طرف بالآخر هو ما ولد ونمى هذه الصورة السلبية، ولا بد لنا لدى محاربة هذه الصورة أن نحارب السبب الرئيسي لها، وذلك عبر نشر ثقافة الحوار، وعبر نشر الصورة الصحيحة والواقعية عن كل شعب لدى الآخر.

الكتاب يتحدث عن الخلط في الصورة وعدم اتضاح الرؤية، وفي النهاية نحن لا نحكم على أي طرف من الطرفين، بل إننا فقط نريد أن نصحح الصورة ونفهم طبيعة تفكير الطرفين، ونريد أن نعرض إلى رسم صورة واقعية ترينا أن الشعبين ينظران معاً إلى المستقبل كما أي شعب آخر يحاول أن يبني ذاته، كل هذا يوصلنا إلى لتفاهم أفضل.

• المشكلة في السياسة أن المصالح هي التي تتحكم دائماً في طبيعة العلاقات بين الحكومات، بينما للشعوب عادة مصالح مختلفة ومغايرة، كيف لعبت السياسة في رسم صورة مشوهة للطرفين عن بعضهما.. وكيف يمكن أن تجسر الهوة بين الشعوب العربية والشعب الأمريكي فيما السياسة كل يوم تخلق هوى جديدة وتباعد أكثر بين الطرفين؟

-أعتقد أن الثقافة هي الحل الوحيد لتجسير هذه الهوة، الثقافة والمعرفة تجعلنا نبني الصورة الحقيقية غير المزيفة، هذا الكتاب وغيره من الكتب التي تحاول أن ترينا صورة حقيقية تخاطب المواطن العادي وتجعله يتعرف على الآخر عبر معرفة لا عبر تصور جاهل هو الذي سيوصلنا إلى أن نقيم علاقة إنسانية بين الطرفين بعيداً عن تجاذبات السياسة.

علينا أن نحاول فتح أبواب الحوار، الحوار سيخلق شخصيات منفتحة وعقول قادرة على مخاطبة الآخر عبر وعي حقيقي، كذلك يمكن الاستفادة من الفعاليات الإنسانية الأخرى، التنظيمات المشتركة المسابقات سواء الرياضية أو الثقافية أو غيرها، كل ما له علاقة بخلق شراكة حقيقية بين الطرفين كشعوب يمكن أن يجسر الهوة بمعزل عن السياسة ومصالحها.

مجلس التنمية الاقتصادية في البحرين خطى خطوة جيدة في هذا الشأن عبر ابتعاث عدد من الطلبة البحرينيين للدراسة في الخارج، كل هذا ينجينا فعلاً من الوقوع ضحية لصورة مشوهة ننبها باتجاه الآخر.

السينما والفن والثقافة.. كيف رأيت رسمهم للصورة بين الطرفين؟ وهل لعبوا دوراً إيجابياً أم سلبياً في هذا الجانب؟

-ربما لعبت السينما الأمريكية دوراً سلبياً في هذا الشأن، عبر خلق صورة نمطية للعربي، ولكن ما هو مطلوب أن تشتغل الثقافة على تغيير هذه الصورة في السينما، الثقافة الحقيقية قادرة على ذلك، لا بد أن يفهم الأمريكان أن ليس كل عربي مسلم وليس كل مسلم هو عربي، وأن ليس كل مسلم هو إرهابي وليس كل إرهابي هو مسلم، لا بد أن نسعى إلى تغيير هذه الصورة النمطية عبر عرض صور حقيقية عن العرب للأمريكان، وهذا لا يتم إلا عبر اللقاء والاحتكاك سواء عبر الوجود الشخصي أو الوجود الثقافي أو حتى عبر وسائل الاتصال المعاصرة.

يمكننا أيضاً هنا الحديث عن الإعلام الذي رسم هو الآخر صورة سلبية عن الطرفين، الإعلام في الجانبين ساهم كثيراً في تشويه صورة الآخر، الإعلام الغربي رسم صور سلبية عن العرب (كل العرب) تصورهم على أنهم قتلة وإرهابيين فقط، والإعلام العربي رسم صورة عن الأمريكان (كل الأمريكان) عن أنهم محتلين وغزاة فقط.

هذه الصورة النمطية في الإعلام لن نستطيع تغييرها ما لم نتمكن من تصحيح نظرة الأغلبية من الشعبين باتجاه الآخر، وهذا لا يتم الا عبر التصدي للجهل وللتعجل الذي يبديه كل طرف في رسم صورة الآخر.

بالرغم من كل شيء يلعب الدين دوراً مهماً في تحديد نظرتنا للآخر، وربما من بين أهم أسباب المشكلات بين العرب والأمريكان أننا يمكن أن نعتبرهما شعبان متدينان.. كيف لعب الدين لدى الجانبين في خلق هذه الهوة، وكيف يمكننا أن نجسر هذه الهوة.

-لا أعتقد أن التدين الأمريكي ساهم كثيراً في رسم هذه الصورة السلبية عن العربي في ذهن الأمريكي، فالأمريكي بطبيعة نظام الدولة لديه، ونظام التفكير أيضاً هو شخص لا يعتمد على الدين في رسم توجهاته، ولكن ربما تكون السياسة والجهل هما من ساهما في رسم هذه الصورة السلبية، ومن جانب آخر فإنني يمكن أن أقول أن الدين باعتباره مكوناً مهماً في شخصية العربي قد لعب دوراً كبيراً في رسم الصورة السلبية للأمريكي، وربما نتيجة حتى طبيعة الأنظمة العربية وطبيعة رؤية العرب للفروقات بين ما هو ديني وما ليس كذلك، لذلك أعتقد أن الدين استغل كثيراً في الدول العربية ليس فقط لتشويه صورة الأمريكان، ولكن أيضاً للكثير من القضايا الأخرى، استغل أساساً لتغذية السلفية الفكرية التي أنتجت السلفية الإرهابية.

•الكتاب فاز بجائزتين في أمريكا.. كيف ترين استقباله هناك وكيف ترين استقباله هنا لدينا في البحرين؟

-أعتقد أن علينا في الحاليين النظر للكتاب على أساس أنه يهدم الصور المتخيلة عن الجانبين، في أمريكا بالفعل تم الاحتفاء بالكتاب وأنا قدمت محاضرات هنا في الأسطول الخامس الأمريكي وتم بيع الكتاب على كثير من الجنود الأمريكان هنا، ولكن كنت أنتظر أكثر أن يحتفى به هنا أكثر، كنت أنتظر أن تحتفي الحكومة البحرينية عبر وزارة الثقافة والإعلام أو أي وزارة ثانية بهذه الرؤية التي يخلص إليها الكتاب، من أجل المساهمة بما ذكرناه من تجسير للهوة.

لو أن هذه النتيجة التي يخلص إليها الكتاب اطلع عليها زوار البحرين والسائحون الأجانب لسهل عليهم التعامل مع البحرينيين، لسهل عليهم التعامل مع العرب بشكل عام، إنها تجربة مررت بها وحاولت أن أوصلها إلى أناس أكثر.

أعتقد أنه يجب أن نتساعد في هذا الجانب لإيصال هذه الرؤية، عبر نشر الكتاب أو توزيعه أو عبر نشر ما يخلص إليه الكتاب أو أية كتب أخرى مشابهة.

جميع الحقوق محفوظة لصحيفة الأيام البحرينية © 2009